13 me Année No. 603

Lundi - 22 - 1 - 1945

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٦٠٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

صفحة

٧٧	رومان رولان	الأستاذ عباس محمود العقاد
٨٠	الرأي العام	الدكتور محمد مندور ...
٨٢	للضحك أسرار	الأستاذ صلاح الدين المنجد
٨٤	في الوظيفة	الأستاذ سيد قطب ...
٨٧	ثقل الأديب	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٩٠	هذا العالم المتغير	الأستاذ فوزي الشتوي . .
٩٣	حولى عينيك [قصيدة] ...	الشاعر عبد الرحمن الخميسي
٩٤	إلى معالي الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك	(م . ع . ح) ... ...
٩٤	نشيد العرب	... ...
٩٤	تصويب	الأستاذ سيد قطب ...
٩٤	تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية	الدكتور فؤاد الأهواني ..

رومان رولان

للأستاذ عباس محمود العقاد

في هذا الشهر رحل عن هذه الدنيا قائد الحملة الكبرى على عقائد البغضاء والعصبية النكراء

وفي هذا الشهر ولد قبل تسع وسبعين سنة ، فقضى أيامها العاملة في حرب دائمة ونضال واصب ؛ حرب للحرب في سبيل المطامع والأباطيل ، ونضال للنضال على التنائم والأسلاب

وكان أكبر الرجاء عنده أن تبطل الحروب في العالم بأسره . فقضى الله أن يشهد الحرب العظمى قبل ثلاثين سنة ، وألا يفارق الدنيا حتى يشهد حرباً عالمية أخرى أكبر وأهول من الأولى ، ويذهب من دنياه وهي قائمة والرجاء في عقباها مبهم مجهول

كتب في مذكراته بعد نشوب الحرب الماضية : « أحس أنني في نهاية مواردي . ليتني قضيت نحبي . فظيعٌ أن يعيش الإنسان والناس قد ضيعوا الصواب وانطلقوا مجانين . فظيع أن نشهد الحضارة تنهار . إن هذه الحرب الأوربية أكبر الكوارث البشرية في مدى قرون عديدة . إنها تعصف بأغلى الآمال في الأخوة الإنسانية »

وكتب بعد أيام : « ألمي جسيم لأنه يتجمع من آلام شتى ويوشك أن يخنق أنفاسي ... تخريب فرنسا ومصير إخواني بين المصارع والجراح ، والحزن على جميع هذه المصائب ، ولواعج

الفزع التى تمزق القلوب تمتلج بها صدور الملايين من المبتلين .

يساورنى ذلك كله كأنما أنا فى سكرات موت أدبى كلما نظرت إلى هذه الإنسانية المجنونة تبذل أغلى ذخائرها ... تبذل جهودها وعبقريتها وحماستها وبطولتهـا قرباناً لأرباب الحرب الغبية السفاحة ... إننى كسير القلب إذ أنظر فلا أرى علامة من العلامات تشير إلى أية رسالة ربانية ... أية روح سماوية ... أية زعامة خلقية يناط بهـا الرجاء فى إقامة مدنية الله بعد نهاية المذبحة ... لقد بلغ يأسى من كل حياتى غاية مداه . فليتنى أرقد اليوم رقدة لا يقظة بعدها »

وعلى هذا اليأس البالغ فى قرارة نفسه لم يلق سلاحه ولم يتخل عن موقفه فى ميدانه : ميدان الحملة على البغضاء ، وعلى شياطين القتال

فطفق من صومعته يرسل الصيحة بعد الصيحة مدوية فى آفاق الضمائر العالية التى لا تحول جلبة النيران دون بلوغها . وجعل شعاره تلك الكلمة التى سارت بعد ذلك سير الأمثال بعد أن جعلها صيحة الحرب فى سبيل السلام ، وهى : « فوق المعركة » مهيباً فيها بعقول المفكرين والمصلحين أن يرتفعوا بضمائرهم فوق هذه الوغى المصمة للآذان . فحسب البغضاء البهيمية أنها تصم السمع فلا ترتفع صعداً حيث لا ينبغى لها أن ترتفع فتصم الضمير

ولم يزل يكتب إلى كل أديب ينساق فى دفعة الحرب سواء من صفوف قومه أو من صفوف الألمان : يكتب إليه ليذكره برسالة الأدب وواجب الكرامة البشرية فى أمثال تلك الأوقات العصيبات ، فيقبل منه من يقبل ويعرض عنه من يعرض . وهو مع يأسه الذى وصفه لنفسه فى مذكراته لا يكف بينه وبين الناس عن الجهاد

ذلك هو رومان رولان

ذلك هو الكاتب الإنسانى الكبير الذى يغنى وصفه اليسير عن تسميته أو الإفاضة فى وصفه ، لأنه تفرد بغير شبيه من قومه أو أعداء قومه فى هذه الشمائل الروحية ، وهذه السمات النوادر بين أدباء هذا الزمان

كانت دعوته الفنية قبل دعوته الروحية دعوة رسول إنسانى فى عصر الفتن والزعازع والخصومات

فكتب عن بتهوفن وهو ألمانى ، وكتب عن ميكالنجلو وهو إيطالى ، وكتب عن تولستوى وهو روسى ، وكتب سفره العظيم الذى سماه جان كريستوف ليسرد فيه قصة فنان يحب الجمال الموسيقى حيث رآه ويعمل للانسان حيث كان

وقد رأينا أنه كان يناجى نفسه فى مذكراته وهو يتلهف على علامة واحدة تبشر بمدنية الله وتؤذن أن تقام فى يوم من الأيام بعد رجعة السلام . فما هو إلا أن سمع باسم المهاتما الهندى غاندى وعلم بحربه للحرب وكراهته للكراهة ووصيته الأقربين والغرباء أن يقابلوا العدوان بالإحسان حتى تفاءل واستبشر وبادر إلى اللحاق بهذا الأمل المقبل من بعيد ، فكتب سيرة غاندى وكتب سيراً أخرى لأنبياء الهند وحكمائها ، وكان فى عطفه على غاندى وقومه لا ينم على نزعة واحدة من نوازع البغضاء لمن يضطهدونه ويسيئون إليه

من أين للأديب الفرنسى هذه الروح السلمية الإنسانية العامة وقد حضر فى حياته ثلاث حروب أصيبت بلاده فى كل منها بأفدح الخسائر وأهول النكبات ؟

فتح عينيه للدنيا فى الرابعة من عمره على حرب السبعين التى منيت فيها بلاده بالهزيمة الجائحة ، ثم شهد الحرب العالمية الماضية ، وشهد الحرب العالمية الحاضرة فى أصعب أدوارها وأخطرها على الأمة الفرنسية

ومن دأب هذه الحوادث أن تذكى فى نفوس من يشهدونها عصبية عنيفة للوطن أو تعودهم السخر بكل شيء وقلة الاكتراث لأمر من الأمور ، يأساً من الأحلام الجميلة واعترافاً بالوقائع الأليمة التى تبلبل الخواطر وتشتت الأذهان

وقد ظهر فى الأمة الفرنسية فعلاً كتاب متعصبون متحمسون كما ظهر فيها كتاب ساخرون متهكمون . فلماذا خالفهم رومان رولان فى هذه الروح ونزع فى حياته وفى كتابته منزعاً آخر غير منزع العصبية ومنزع السخرية بالأحلام الكبار؟

جواب ذلك فى الوراثة والنشأة الفنية ، وله جواب غير هذا الجواب فى أفق التفكير الإنسانى كله ، سواء منه ما اتجه ذات اليمين وما اتجه ذات اليسار

فالكاتب العظيم قد ورث الحماسة الروحية من أبيه وأمه ومن بيئة أهله بأجمعها

كان أبوه من دعاة حقوق الإنسان في إبان الثورة الفرنسية ، وكانت أمه من أتباع جانسن الذين عرفوا بحرارة الإيمان وخلوص العقيدة

فلم يكن للطفل المولود في هذه البيئة غنى عن عقيدة تلتهب بها حماسته الروحية وتتعلق بها آماله الكبرى في حياته وحياة الناس كافة

ووافق ذلك أنه نشأ محباً للفن الجميل ولا سيما الموسيقى والمسرحية الخالدة . وشغفه في صباه اثنان من كبار أهل الفن المخلدين في هذين المجالين المقدسين ، وهما بيتهوفن وشكسبير

ثم شغف مع بيتهوفن بالموسيقى الألمانية كلها لأنها كانت في صباه غالبة على الأذواق الموسيقية في معظم القارة الأوربية ، فلم يستطع أن يبغض الألمان – أعداء وطنه – ومنهم صفوة الأرباب الفنية المحببة إلى فؤاده وضميره ، وتمثل فيه من هذا الجانب ما تمثل قبله في « جيتي » الشاعر الألماني الكبير ، فإنه كان يقول كلما لامه أبناء وطنه على إعجابه بالأمة الفرنسية : كيف أبغضها وأنا أعيش مع أبنائها في عالم الفن والجمال ؟

أما شكسبير فهو شاعر الإنسان في كل زمان : من عرف أبطاله عرفهم أناسيّ لم تحجبهم صبغة الوطن والعصر ، ولم تقيدهم شكول الزمان والمكان ، وقد كان من أبطاله دنمركيون وإيطاليون ومغاربة ويونان ، وكان الإنجليز منهم آدميين تراهم « أولاً » آدميين ثم تراهم بعد ذلك أصحاب صناعة أو أبناء طبقة أو أتباع دين

وكذلك تحولت بروبان رولان وراثته ونشأته معاً إلى الوجهة الإنسانية التي تتجاوز حدود الأوطان والعداوات العصبية . ثم دعته حماسته الروحية الموروثة إلى العمل فلم يجد كفؤاً لها في العصبية المحدودة ولا في المطالب الموقوتة ، وفتح له أفق التفكير الإنساني أبوابه فمضى فيه قدماً بكل ما وسعته نفسه من شوق وإيمان

فقد كانت الزوبعة الوطنية قد بلغت مداها الأقصى بعد ثورة الطليان وثورة اليونان ، وتحرر الأمم من سلطان الكنيسة ذهاباً مع الحرية الوطنية التي كانت ضرورية لها للتمرد على تلك السيطرة الأجنبية ، وكانت حروب نابليون قد أعقبت بعدها حنيناً إلى السلم والمؤاخاة ، وكانت الحركة الصناعية نفسها قد أنشأت مذاهب الاشتراكيين الذين يدينون بالطبقة أو بالعالم قبل أن يدينوا بالوطن أو التراث العنصري القديم

فتعاقبت الدعوات إلى التحكيم وخلق المحاكم التي تدعى بمحاكم السلام ، وسمع الغرب والشرق رسالة تولستوي التي تنكر السطوة وتبشر بالمحبة والأخاء ، وشهدت أوربا سلسلة من المؤتمرات السياسية قوامها النفور من الحرب والاجتهاد في حل المشكلات بالمشاورة والمساومة والتوفيق

وكانت هذه الدعوة العالمية أشبه الدعوات بمزاج رومان رولان الذي ورثه من أبويه ونشأ في تربيته الباكرة عليه ، فاستهوته حين استهوت غيره دعوة العصبية والبغضاء ، واهتم بها حين بطل الاهتمام بالأحلام في النفوس التي افتقرت إلى حماسة الروح ، وكان أشجع من دعاة الحرب ومن نافخي النار في الدخول الوطنية والترات السياسية ، لأن الداعي إلى اجتناب الحرب كثيراً ما يحتاج إلى شجاعة لا تقاس إليها شجاعة المقبلين عليها أو المسوقين إليها ، حين تغلي الدماء ويثور الضجيج وتخرس الألسنة وتعمى العقول

وعاش الرجل في أفق أعلى من الأفق الذي يرين عليه دخان المعارك ، وتوجه إلى قبلة أبعد من القبلة التي يممها اللاصقون بالغبراء ، وجمع رسالته كلها في كلمة موجزة هي أصدق الكلمات التي تقال في هذا الزمان وفي كل زمان ، فعلم وقال وعمل بما قال : « إن الإيمان – وليس النجاح – هو غاية الحياة »

سلام على جندي السلام يوم استراح من الكفاح .

عباس محمود العقاد

الرأى العـــــام

للدكتور محمد مندور

لا يستطيع الناظر فى حياتنا العـامة أن يطمئن إلى وجود رأى عام بالمعنى المفهوم فى بلاد الغرب ، وتلك ظاهرة ترجع فيما يبدو إلى عاملين كبيرين : أولهما اقتصادى ، وثانيهما ثقافى.

ولسنا فى حاجة إلى التدليل من جـديد على فســاد توزيع الثروة فى مصر ، وتلك آفة قديمة ستلقى هذه الأمة فى علاجها مشقات كبيرة ، ولـكنها ستعالج يوما ما . وإنا نـكتفى بإيضاح نتائجها فيما نحن بصدده من وجود رأى عام أو عـدم وجوده . وأمتنا تنقسم فى جملتها إلى طبقتين : أغنياء وفقراء ، وأما الطبقة الوسطى فلا تزال فى بدء تـكوينها . وكبار الأغنياء بطبيعتهم قوم مترفون أنانيون يسخرون من الاهتمام بالمسائل العامة التى لا تعنيهم إلا فيما يمس مصالحهم المباشرة . وأفراد الشعب تشغلهم مهام العيش ومشقاته حتى لا تترك لهم فراغا للتفـكير الجدى فى الأمور العامة ؛ والفقر ينال من قوة نفوسهم فلا يستطيعون أن يتحرروا من إرادة الأغنياء . وعندما يكون المرء فى قبضة غيره ، والحاجة إلى الـكفاف من العيش تلاحقه ، كيف تريد أن يكون حر الرأى . والملاحظ فى الأمم الغربية أن الطبقات الوسطى هى التى تـكون الرأى العام وتقوده ، وذلك لأنها الطبقة الطموح ، ثم لأنها قريبة من الطبقة الدنيا التى تـكون جمهرة الأمة ، وهي بحكم هـذا القرب تعرف آلام الشعب وآماله كما تفهم عقليته . وهى طبقة جادة لا تعرف الاستهتار ، تتمتع بقسط من الاستقلال المادى يعطيها القدرة على الصلابة فى الرأى ومواصلة الـكفاح من أجله . ثم إنها طبقة مستنيرة تستطيع بما لها من ثقافة ألا تقف عند الرضا أو السخط ، بل تستنبط الوسائل الـكفيلة بتحقيق الخير لعامة الناس . وليس من شك فى أن نهاية هذه الحرب ستشهد صراعا قويا بين تيارين من التفكير : التيار الاقتصادى ، والتيار الاجتماعى . ونحن على تمام الثقة من أن سفسطة الاقتصاديين لن تقف عند حد ، فسيحاولون إيهام الشعب أن علاج الفقر الصحيح هو زيادة الانتاج بتنمية الصناعة وحمايتها من المنافسة الأجنبية . والاجتماعيون لا ريب يسرهم أن يزيد الدخل العام للأمة ، وهم ليسوا من خصوم الصناعة ، ولـكنهم سيحرصون على أن تـكون وسائل الانتاج ملـكا للأمة جميعـا ولو بطريق التساهم ، لا لفرد من الأفراد . وذلك لأنهم لن يستطيعوا صبراً على التفاوت القائم اليوم ، ولابد أنهم سيمنعونه من أن يستفحل بظهور أثرياء الصناعة إلى جوار أثرياء العقار . وإذا كتب للاجتماعيين الغلبة فلن يتركوا مشكلة توزيع الثروة تغيب عن الأذهان تحت ضباب مريب من الحرص على تنمية الثروة القومية وتعزيز اسـتقلال اقتصـادى موهوم ، لو حـدث ذلك لتحررت عندئذ أرواح ملايين من البشر ، وارتفع مستواهم النفسى ، فـكان لهم صوت فى تـكوين الرأى العام .

والعامل الثقافى يطالعك فى دور العلم وفى فنون الصحافة . والذى لا شك فيه أنه لا مدارسنا العامة ولا صحافتنا بقادرة فى وضعها الحاضر على أن تـكون رأيا عاما . والمدرسة العامة روحها المدرس ، وباستطاعتك أن تقلب البصر فيمن تلقى من مدرسين ، فما أظنك واجدا الـكثيرين بينهم ممن لهم فلسفة خاصة فى الحياة . ولسنا نقصد بالفلسفة الخاصة آراء بعينها فى الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب ، بل نرمى إلى حالة من النضوج الفـكرى والعـاطفى تمـكن صاحبها من أن يتخذ له موقفا محدداً من الناس والأشياء ، فيعتقد مثلا أن المادة هى عصب الحياة ، أو أن الروح هى محركها الخفى ، ويكون من المؤمنين باطراد التقدم فى الانسانية أو القائلين بتراوحها بين المد والجزر . وقد يعالج مشاكل الحياة بالجد الحار أو بالسخرية الباسمة ، وقد يتناولها بالثقة المتفائلة أو الحذر المتشائم ، ونحو ذلك من أنواع الفلسفات الشخصية التى لا بد أن تتصف بإحداها كل نفس ناضجة . وهذه الفلسفة الشخصية هي التى تمـكن المدرس من التأثير فى تلاميذه تأثيراً باقياً ، وذلك لأنه يستطيع عندئذ أن يعطيهم ضوءا هاديا فى الحياة ، وبفضل هذا الضوء يستطيعون بدورهم أن يحكموا على مختلف الأمور . ومن البين أن الرأى العام يتـكون من تفاعل مجموعة الأحكام الفردية . وإذن فما دام معلمنا لا فلسفة له ، وما دام كبار مفـكرينا وأساتذتنا

لا يعرفون كيف يزودون هذا المعلم بتلك الفلسفة ، فما أظننا مستطيعين أن نجعل من مدارسنا بؤرات لتكوين الرأى العام . وأهول ما أخشاه ألا نجد من بين أساتذتنا وكبار مفكرينا أنفسهم نفراً كافياً يصدرون عما نتحدث عنه من فلسفة شخصية ، وما على القارىء إلا أن يستعرض الأسماء المعروفة ليحاول أن يحدد فلسفة كل منهم . ولقد يجد لأغلبهم مجموعة من الكتب أو طائفة من الأبحاث ، ولقد يكون فى تلك الكتب وتلك الأبحاث جمال ومتعة ، ولكنه سيجد مشقة فى أن يستخلص منها روحا عامة وفلسفة جامعة . وعند ما يخرج التلاميذ من المدارس ، وليس لكل منهم اتجاه روحى معلوم ، لن نجد غرابة فى أن يعجزوا عن حمل الصحافة على تقديم غذاء صالح للشعب .

والصحافة كما هو معلوم صحافة إخبارية أو صحافة رأى . والأولى وإن لم تخل من أثر على الرأى العام بحكم تخيرها لنوع الأخبار التى تنشرها وتلوينها لتلك الأخبار، إلا أنه فى نهاية الأمر أثر محدود . وعلى العكس من ذلك صحافة الرأى التى تتكون فى بلادنا من بعض الصحف اليومية ثم معظم المجلات الأسبوعية . وما دامت الصحف ملكا لأفراد أو شركات وكان هدفها الأول هو الربح المادى ، فما أظن أننا نستطيع أن نرجو من ورائها خيراً كثيراً فى تكوين رأى عام سليم، وذلك لأن حرصها على الانتشار يدفعها إلى اللعب على غرائز القراء ، فلا تجد فيها إلا فتنا سياسية تدور حول كبار الشخصيات ، ولا ترضى فى القارىء غير حب استطلاع خبيث ، أو تهريجا ديماجوجيا يولول لآلام الشعب ويلوح له بآمال خادعة دون أن يدرس مشاكله دراسة جدية ، ويقترح لعلاجها الوسائل المجدية . وأخيراً ترى إثارة الغرائز الجنسية اعتماداً على ما تنزله حياتنا الاجتماعية بنفوس الشبان من كبت . وإنه وإن يكن من الثابت أن أكثر الصحف انتشاراً فى مصر ، ليس أكثرها تأثيراً فى الرأى العام بحكم أنه كلما ازداد جمهور الصحيفة كان جمهور تسلية وتزجية فراغ ، إلا أنه مما لا شك فيه أن أمثال هذه الصحف تقوم بعملية هدم كبيرة ، فهى تقوض الجدية فى النفوس ، كما تحل الأخلاق وتعود العقول الكسل . وأنت إذا وجدت إلى جوار أمثال تلك الصحف ، صحفا أخرى قليلة الانتشار ولكنها جدية مؤثرة باعتبار أن قراءها ممن يلتمسون غذاء لأرواحهم ، إلا أنك ـ لسوء الحظ ـ قلما تجد لاحداها قيادة عامة واتجاها روحيا واضحا ، وإنما هى طائفة من الأقلام والمعلومات لا يجمع بينها غير غلاف الصحيفة ؛ ولهذا قلما تكون صحيفة منها مدرسة خاصة فى الحياة . وإذا كنا لم نصل بعد حتى فى مجال السياسة إلى خلق صحافة تعبر عن مذاهب الحكم المختلفة وتناضل دونها ، مع أن السياسة أمر يهم الملايين من البشر ، فإنه لا ريب يكون من تعجل الأمور تعجلا مسرفا أن نتطلع إلى صحافة ثقافية موحدة الاتجاه ، مع أن الثقافة بطبيعتها ميدان الخواص ، ولكننى مع ذلك لا أفهم لماذا لا تكون لدينا مجلات تتحمس لتيارات التفكير المختلفة ، وتحاول أن تجمع حولها النفوس . ولكم من مرة يسألك أحد الغربيين عن الاتجاه الذى تتميز به هذه المجلة عن تلك ؟ فلا تستطيع جوابا . ونحن لا نقصد بذلك إلى المجلات الخاصة ، بل نصب القول على المجلات العامة ، فهذه هى التى نزعم أن من الممكن بل من الواجب أن تكون لها روح عامة برغم تنوع موضوعاتها وعندما تتعدد أمثال تلك المجلات وتتفاعل تياراتها المختلفة سيبدأ الرأى العام فى أن يتكون .

الرأى العام وليد لفلسفات فردية تشع فى المجتمع . والمجتمع بدوره لا يستطيع أن يتمثلها إلا إذا تركت له الحياة الاقتصادية من الراحة والفراغ ما يمكنه من تأملها . وتلك الفلسفات لن تنمو إلا عن طريق المعلم أو الصحافة ، وإصلاح الأخيرين لا يمكن أن يتم بقرار من قرارات الدولة ، بل ولا قانون من قوانينها ، وإنما لا بد لتحقيقه من سنين طويلة تتضافر فيها جهود الأفراد والحكومات . ولا بد لنا من أن ننتظر ، مع استمرارنا فيما نحن بسبيله اليوم من فتح المدارس والجامعات ومناقشة مناهج الدراسة والتعليم ، وحسن القيام على دور التمثيل والسينما ومحطات الإذاعة وما شابهها من وسائل نشر الثقافة بين الشعب . وإن يكن هناك ما نستطيعه لساعتنا فهو تعويد الجمهور أن يتجرع ما ينفعه والصمود له عندما تدفعه غرائزه الدنيا إلى التماس اللذات الرخيصة .

الرأى العام لم ينضج بعد فى بلادنا ، ولكن لا محل لليأس فنحن سائرون إلى الأمام ، وما علينا إلا أن نواصل السير فى ثقة وشجاعة .

محمد مندور

للضحك أسرار ...!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

أدولف ڤيلّيت ، فنّان بارع ، ومصوّر مجيد ، أوتى من القدرة على الهزل فى تصويره ، وعلى تبيان المعايب فى شخوصه ، ماجعله سيد هذا الفن ، المتفوق المبرز ، فانعطفت عليه الصحف الكاريكاتورية فى باريس ، ليمدها من حين إلى حين بصور فيها إبداع وأصالة .

وصوره ذات طابع خاص بها ، وصفة لاتفارقها . فهى تبدو ، فى النظرة الأولى ، صوراً ضاحكة مضحكة، يفور ظاهرها بالسرور ، تثير فى نفسك الإعجاب والتقدير . فاذا أنعمت النظر ودقّقت فى تلك الصور ، بدا لك أن ما فيها يدفع إلى التأمل والتفكر ، وأن فى أعماقها كآبة تدفع إلى الحزن وعبرة تبعث الألم .

سألته يوماً فنانة باريسية جميلة عن سر ذلك . فأجابها « نعم . إن فى كل شىء ، مهما كان ، قليلاً من الأسى . ويجب أن نزينه بالضحك ليخفى ، لئلا يؤذى أحداً ، أو يؤلم أحداً » .

وجواب الفنان جدير بالتأمل . فالحزن فى الحقيقة ، لايفارق الانسان . لأن هذه الدنيا لاتريح . ربما أوتى أحدنا المال ، ولازمته الأمراض ؛ أو أوتى العافية ، وسلب المال ؛ أو قعد به الحظ المنكود عن الترقي ، وفى نفسه آمال ؛ أو نال بسطة من العلم فأهمله ذوو الشأن ؛ أو حسده الأصدقاء والأقران ؛ أو اشتهى ولداً يوهب له ، على سعة من غنى ، وعلو فى الجاه ، فلم يوهب له الولد ، فتبقى فى نفسه حسرة على ما أمله ، وحزن على مافاته . لكن ماذا يفيد إذا أظهر حزنه ؟ ومانفع التحسر والوجوم ؟ إن الحزن والشكوى والبكاء ، أشياء تثير الشفقة علينا ، وتدل على ضعفنا ، وفي الشفقة علينا حطة لنا ، ثم هى قد تدفع الناس للابتعاد عنا ، لأنها تؤذيهم ، وتؤلمهم ، أو تذكرهم بآلامهم . فالحزن يبعث الحزن ، ويذكر بالشجى . والدمع يستدر الدمع ، ويجلب الأسى . والناس تكفيهم أحزانهم ، وربما نسوها لحظة أو ساعة ، فاذا ذكرناهم بها تألموا . والدنيا ، وما فيها ، أقصر من أن نقضيها بالحزن .. ولا بد من التجلد فاذا حزنت فاجعل حزنك فى قرارة نفسك . وأظهر الفرح . بل اضحك .. اضحك دائما ، فلا تؤذى الناس .

بل إن هذا الضحك يؤدى ، ولو كان يخفى وراءه الحزن ، إلى إعجاب الناس بك ، وإلى اكتساء رداء من الجمال ، واكتساب مناعة ، لا تؤثر فيها ، على الأيام ، المصائب والآلام . ولولاهذا لما كانت العرب تمدح من كان ضحوك السن ، بسّام العشيّات ، طليق الوجه . ولولاهذا ، أيضاً ، ماكانت تذم من كان عبوساً أو قطوباً ، أو حامض الوجه ، كأنما وجهه منضوح بالخل

وقد تيقنت ، أن الضحك ، ولو كان يخفى الحزن ، يُكسب الجسم مناعة ، لا يؤثر فيه معها المصائب بعد حادثة شاهدتها بنفسى

ففي عودتى من القاهرة فى يناير الخالى ، لقيت فى القطار سيدة فرنسية تحدرنحو الخمسين ، وما تزال ناضرة الوجه ، ريانة الجسم ، كأنها احتبست الشباب في جسمها ، ولم تُفلته . وكان يزيد فى جمالها حديث رقيق يُغرى ، ولطف شديد يغوى . فعجبت منها ، وتساءلت فى نفسى عن سر احتفاظها بالشباب والجمال ؟

وكان بجانبها فتاة لم تتخط العشرين من عمرها ، علمت أنها ابنتها ، كانت ذات وجه ساهم ، ونفس مكروبة . تلمح الحزن فى نظراتها ، ولفتاتها ، وآهاتها . قلت فى نفسى : ربما تكون مريضة ... أو أن داء العشق قد لحقها ....فلما بدأنا الحديث ، شدهنى من الأم فرحها وضحكها ، ومن البنت صمتها وعبوسها . كانت الأم تضحك لكل كلمة ... فيزهر وجهها وزيد سحرها . وكانت الفتاة تعبس ، فيظلم وجهها ، ويحمض جمالها . وكانت الأم ، تلفظ الكلمة ، ترفقها بالإشارة ، وتردفها بالضحكة ؛ ضحكة رقيقة تهيج فرحك وسرورك . والبنت ترسل النادرة ، إذا تندرت ، بلفظ خشن وجفاء ظاهر . فعجبتُ ، ومازلت حتى سألت الأم :

— إنى لأراها حزينة .. أتشكو ألماً ؟ ...

قالت : أوه ! كلا .. إن هذا الجيل لا يعرف كيف يحيا . إن فى الحياة سراً ، لا يهنأ بها ، إلا من عرفه . دعها ، إنها لا تسمع منى . الحياة عابسة ولا تُغلب إلا بالضحك . قلت لها

ذلك فلم تعقل . هـذا ما كنا نسمعه من عجائزنا اللواتى عشن سعيدات . أما اليوم ، فالحياة تعبس وهم يعبسون . عبوس يجر الحزن ، وحزن يدفع إلى الموت البطىء . أليس الأمر كذلك يا سيدى ... ؟

ثم أطرقت ... وعادت تقول :

« يا أسفا على ذلك الزمان ، أيام كانت أمى توصينى أن أضحك دائماً . لقد ضحكت كثيراً ، فهنئت . كنت أضحك لأتفه سبب ، وفى قرارة نفسى حزن جاثم شديد . أوه ! ماذا أحدثك؟ لقد جعلتنى ضحكاتى أجمل فتاة بين صواحبى . ثم وجدت فيهـا ما يخفف من آلامى ، ثم صرت إذا أصابتنى مصيبة تعمدت أن أضحك ، لأنسى همومى . أتدرى أننى رزئت فى ابنى وبنيتى؟ لقد ابتلع البحر ابنى وهو فى العشرين من عمره ، وماتت ابنتى الصغيرة فى الألب ، وأصابتنى فى هذه الحرب كوارث تحطم ، وكنت أحزن وأبكى ، ثم أعود إلى الضحك ... وأصبر ، فيذهب الحزن ! .

قلت لها : إنها وصاة جديرة أن تتبع يا سيدتى . لو عرف الناس هذه الأسرار ، لضحكوا...

قالت : أؤكد لك أنهم لو عرفوها لما تركوا الضحك أبداً .

كانت أمى تقول : إن فى الضحك أسراراً ليست فى شىء غيره . ضحكة بل بسمة تُرضى زوجك إذا كان مُغْضَباً . وضحكة رقيقة تأسر عقل زائرك ولو كان جافياً . اضحكى ، استعينى على قضاء حاجاتك بالضحكات والبسمات . اضحكى ، وأنتِ فى نزعك . . فإن ذلك يثير شفقة الناس ، ويزيد فى دعائهم لك ، وحبهم إياك . اضحكي وأنتِ حانقة مغيظة ، فإن الضحك يهدىء ويُرضى . بل اضحكى إذا أُهنتِ يوماً ، ولم تستطيعى أن تنتقمى ، فإن ضحكك يزيد فى غيظ خصمك . فإذا واتتك الفرصة بعد ذلك فانتقمى منه .

لقد أثر حديثها فى نفسى . وأنستُ به . وأدركت هـذه النضارة التى تسيل فى جسمها وترفّ على خديها ، وهـذا النور الذى يتألق فى عينيها .

إن الناس جميعاً لا يستطيعون أن يفعلوا كل هذا . ولكن ألا يمكن أن يفعلوه إذا اعتادوه ؟

ثم إنه يظهر بعد هـذا ، أن فى الضحك ، ولو كان يخفى الحزن ، سراً . وأن هـذا السر يقاوم الأمراض ، أو يدفع الجراثيم . إن علماء النفس يشيرون إلى النشـاط الذى يتدفق فى الجسم ابان الفرح . وكأن هذا النور الذى يفيض فى الابتسام والضحك ، ينشط ويقوى ، وكأن مادة كهربية تريح الأعصاب ، وتزيد فى العافية ، بل كأن فيه ما يشفي فعلاً من بعض الأمراض .

فقد ذكرت أن « برغسون » الفيلسوف الفرنسى الشهير ، أجهده التفكير والعمل ، وقبل موته بعشر سنين ، فضعفت أعصابه ، وبدت عليه أمارات النورستانيا ، فلجأ إلى الأطباء ، فلم ينجع بعقاقيرهم مما هو فيه . حتى أشار عليه واحد منهم بأن يضحك . فعجب الفيلسوف ، وألح الطبيب :

« إن دواءك الفرد هو أن تضحك يا سيدى . فاضحك كل يوم ساعة ، أو ساعتين . . . » .

وانطلق الفيلسوف إلى داره يضحك من نفسه ، ومن الطبيب . ولكن كيف يضحك ساعة أو ساعتين ؟ وتعمد الضحك وتكلفه ، ثم لجأ إلى الملاهى ، يشهد كوميديات موليير التى تثير الضحك . فكان يضحك ، فى أعماق قلبه . ولم تمض غير شهور قلائل حتى شعر أنه شُفي . وعندئذ تساءل عن السر الذى يشفى ، ووضع دراسته المسماة « Le Rire »

فالشفاء هنا ، أتى من موافقة الضحك الجسم ومداواته المرض وإراحته الأعصاب .

ورأيت من قبل أن بالضحك حفظت السيدة الفرنسية شبابها وبنت لحمها . وأعتقد أن الجاحظ العظيم قد فطن لذلك ، فقال :

« وما ظنك بالضحك الذى لا يزال صاحبه فى غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شىء فى أصل الطباع ، وفى أساس التركيب . لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى ، وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذى هو علة سروره ، ومادة قوته . . . »

***

فاضحكوا . . فإن ضحكة واحدة تخرج من أعماق قلبى ، فيستريح بها عقلى ، ويشفي جسمى ، وتبعث فىّ القوة والنشاط ، لهى خير مما يجمعون .

دمشق — صلاح الدين المنجد

على هامش النقد :

في الوظيفة ...

صور انتقادية . . . عبد الحميد جودة السحار

للأستاذ سيد قطب

حينما ينظر الإنسان إلى « دواوين الحكومة » بعين أخرى غير عين « الموظفين » ويقيسها بقياس آخر غير عين المناصب والمراكز والألقاب . . . لا تقع عينه إلا على أمساخ ومهازيل ، ومخلوقات آدمية بائسة ، محدودة الآفاق ، صغيرة المطامع ، حقيرة البواعث . ولا يشهد إلا رواية تهريجية هازلة تنقصها كل أصول الفن وكل مقومات الإخراج ، ولا يبقى لها من سمات الرواية إلا عنصر « التمثيل » !

بهذه العين الإنسانية نظر الأستاذ «عبد الحميد جودة السحار» إلى « الموظفين » وبهذه النظرة الآدمية رأى « الدواوين » وما في الدواوين ، فكانت مجموعة « الصور الانتقادية » التي أخرجها بعنوان « في الوظيفة » .

* * *

وليست تسميتها باسم « صور انتقادية » مجرد عنوان فهي « صور » في حقيقتها : صور سريعة على طريقة التصوير باللمسات الخاطفة . . . لمسة من هنا ولمسة من هناك ، فإذا ملامح معينة وسحن محددة ووجوه معروفة . ولا عليه بعد هذا ألا يعني بالدقائق والجزئيات : هذه سحنة منافق ، وتلك سحنة جبان ، هذه ملامح دساس ، وتلك ملامح لص ؛ هذا وجه مراء ، وذلك وجه مدلس . . . أما سمة العين وشكل الأنف ، وحجم الفم ، فتلك تفصيلات لا تزيد شيئاً في دلالة السمات . .

ومن ناحية أنها « صور » كانت قيمتها الفنية وقيمتها الإنسانية . وإلا فكل ما جاء فيها عن الدواوين وعما يجرى داخل الدواوين ، معروف مشهور ، تلهج به الألسنة في كل مكان ويتندر به كل إنسان ، ويشكو منه كل إنسان .

وإنك لتستطيع أن تقول ألف مرة : إن في الدواوين رشوة وسرقة ، ودسائس ووشايات ؛ وإن الأعمال تسير فيها سير الأجهزة البطيئة والآلات الصماء ؛ وإن الذي لا يجاري التيار فيها يجرفه ويحطمه ، وإن كثيراً من الموظفين يدخل الديوان « إنساناً » فما يلبث أن يصبح « موظفاً » . . . الخ .

ولكنك تكون واثقاً أن هذه الكلمات ستبقى كلمات ، فلا تأخذ طريقها إلى النفس ، ولا تثير الانفعال ضدها والاشمئزاز منها إلا بمقدار . . . ألفاظ تنسى بعد حين كما ينسى كل ضخم من الكلمات .

أما حين تترجم هذه الكلمات إلى حوادث واقعية وصور آدمية كما صنع المؤلف . فعندئذ فقط تلبس ثوب الحياة ، وتتخذ لها جسماً ملموساً ، يوقظ الحس ، ويثير الانفعال . وعندئذ نرجو لها حياة فنية لا شك فيها ، وترجو لها موقفاً اجتماعيا ، ربما كان ! !

* * *

ولحسن الحظ أن صاحب هذه الصور الانتقادية موهوب في فن التصوير السريع ؛ ومهما أخذت عليه من عيوب في عمله الفني فإنك لن تخطيء الملامح التي يريدها ، والسحنة التي يبغيها . وهذا وحده يكفي . .

إنه ذو عين لماحة تسجل الحركة الحسية ، كما تسجل الحركة النفسية . ثم تغلف اللمحة الموسومة بروح السخرية ، وتمزجها بعنصر الفكاهة . حتى ليخيل إليك أنه ينظر إلى الدنيا كما ينظر إلى ملهاة كبيرة . تأخذ عينه فيها لمحات التناقض ، وتأخذ حسه فيها مواضع السخرية ، وتأخذ نفسه فيها مواطن الدعابة !

ولعله أن يكون قد بالغ في إبراز مواضع السخرية ، ومواطن التشويه المضحك في هذه الصور ، ولعله أن يكون في الدواوين وجوه أخرى لم يلتفت إليها لأنها تغذى في نفسه هذه الحاسة .

ولكن الذي لا مراء فيه أنه وفق في تصوير « جو » الدواوين ، وفي تشخيص « روح » الوظيفة . فهذا الجو هو جو الغش والخداع والتهافت والتهالك والرياء والجبن والنفاق والوقيعة . وهذه الروح هي روح البطء والتهاون والإهمال والتواكل والجمود والروتين والسأم والملالة . . . فإذا وجد على هامشه بقايا من الإنسانية السليمة ، فهي محاربة منه ، مكروهة من أهله ، متهمة « بالفنزحة » لا تختلط به ولا تندمج فيه .

* * *

من « لمحات » هذه العين الخاطفة صورة محسوسة يراها سكان العاصمة الآن في كل آن . صورة الكتل البشرية التي تتزاحم على الترام . وهي على بساطتها صادقة كاملة فيها عنصرا الفكاهة وروح الدعابة : وهي جزء من صورة يسجل فيه ذهاب العمال إلى الورشة :

[« تكدست أكوام البشر في داخل الترام وعلى جانبيه ، ومن خلفه ومن قدامه ؛ واختلطت الأذرع والسيقان ، حتى أصبح من المستحيل أن تقع العين على هيئة إنسان . فهذه ذراع ، وهذا رأس ، وهذا خصر . أما لمن هذا الرأس ، ولمن هذه الذراع ، وأين صاحب هذا الخصر أو هذه الساق ، فهذا ما لا يفطن إليه إنسان . وكثيراً ما يخيل للناظر إلى الكتل البشرية المتراصة على سلم الترام ، أن للجسم الواحد رأسين ، أو للرأس الواحد جسمين ، وأن أغلب الواقفين على سلم الترام ينافسون « البهلوان » . فهذا واضع طرف قدمه على حافة السلم ، وقابض على قائم الترام بأصبع ، وهذا متعلق في عنق آخر متعلق بسروال ثالث . وهكذا » .

ولمحة أخرى تبدأ حسية وتنتهي نفسية ، ويتداخل فيها اللونان تداخل الأضواء والظلال ، وهي تلي مباشرة صورة الترام :

« وبلغ الترام في أمان مصلحة حكومية ، فتساقط الركاب عنه كما تتساقط الأوراق عن الشجر في يوم اشتد ريحه . وكانوا جميعاً من العمال ، فساروا يتحدثون ، فيحدثون صوتاً كدوي النحل . وراحوا يسيرون في نفس الطريق الذي قطعوه آلاف المرات قبل يومهم هذا . وكانوا يدبون كسلحفاة لا ينظرون أمامهم ، ولا يلتفتون حولهم ، بل ينطلقون كما تنطلق الدواب التي عرفت طريقها من كثرة ما دبت فيه . انطلقوا وما فكروا قط في يومهم . ولم يفكرون ؟ فأيامهم جميعاً متشابهة : ففي الثامنة صباحاً يدخلون ، وفي الحادية عشرة يفطرون ، وفي الثالثة ينصرفون . وكان الأمل الوحيد الذي يداعبهم في أثناء عملهم أن تتكرم عقارب الساعة الكبيرة المثبتة في الفناء الواسع المواجه للورش بالدوران السريع حتى تبلغ الثالثة لينصرفوا شاكرين . ولتستريح بعد ذلك ما شاءت لها الراحة ، فما أصبح دورانها يعنيهم بعد انفلاتهم من سجنهم ، فقد كانوا ينظرون إلى ورشتهم نظرتهم إلى سجن بغيض .

وهكذا لا تخطئ سمة من سمات الصورة الحسية الفكهة ؛ لا في الأولى ؛ ولا سمة من سمات الصورة النفسية في الثانية ... وإنك لتلمح الآن هذه الجموع تنطلق في طريقها كالدواب . تلمح هذا القطيع يدب ، لا يحدوه أمل ، ولا تدفعه رغبة . ولكنها لقمة العيش تربطه إلى سجنه ، وتكرار الطريق يقوده إلى مربضه ، في سأم بالغ وملال كئيب

ثم يريد المصور أن يرسم بلمسة سريعة صورة من السرقة أو الاستغلال الذي يناله الرؤساء لأنفسهم بواسطة العمال ، فيبرزها كاملة في هذه الفقرات :

« ولمح أحدهم صديقه فناداه وسلم عليه ، وقال له وهو يحاوره :

« — لم جئت اليوم ؟ هل انتهيت من العمل في بيت المهندس ؟

« — لا لم أنته بعد . ولكن جئت لآخذ غراء ومسامير !

« — هل انتهت نجارة غرفة النوم ؟

« — لا . ولم ؟

« — لأنه أمرني أن أطليها له !

« — هنيئاً لك ؟

« — ولم ؟

« — ستحتسب لك أيام الجمع !

« — أتحسدني على شيء سبقتني في الحصول عليه ؟

« — لا أحسدك ولا تحسدني . وهل يدفع لنا شيئاً من جيبه ؟ بارك الله في الحكومة ! »

فيبلغ بهذا الحوار القصير أن يرسم صورة كاملة لاستغلال مال الحكومة ووقتها ، وأدواتها . وليس هذا فحسب . بل يرسم معه صورة للفساد النفسي والخلق الذي يبثه هذا الاستغلال في نفوس المرءوسين من العمال وغير العمال

حتى إذا شاء أن يسخر من طريقة العمل في الدواوين ، ومن طريقة الإشراف والتفتيش ، ومن الرؤساء والمفتشين ... كل ذلك في آن واحد . اختار هذه الصورة السريعة الجامعة لكل ما يريد . والتي هي نموذج لسائر ما يجري في بقية الأعمال وبقية الدواوين إن لم يكن بنصه فبروحه ، وإن لم يكن بصورته فبنوعه :

« وخلع العمال ملابسهم النظيفة ، ولبسوا ملابس العمل الزرقاء ، واتجهوا إلى أماكن عملهم ، ووقفوا يتحدثون ولا يعملون ، وراح الرقيب يقوم بمهمة الاستطلاع . والرقيب عامل من العمال يجدد انتخابه كل يوم ، ويوكل إليه مراقبة الطرق والمنافذ ، فإن لمح المهندس أو المدير مقبلاً ، أعطى إشارة الخطر ، فتدب فى الورشة الحياة

« وفى حوالى العاشرة لمح الرقيب المهندس مقبلاً يتهادى فى حلته الحريرية البيضاء ، وقد ثبّت وردة حمراء فى صدره ، وكان يرفع يده بين الفينة والفينة ليسوى رباط رقبته الجميل ، أو ليرفع أطراف المنديل المتدلى من صدره ... فصفر صفير الإنذار — وهو صفير طويل ممدود — فهمس من فى الورشة : « ميمى ... ميمى » — وهو ما اصطلحوا على إطلاقه على المهندس الأنيق — فأسرع كل إلى عمله ، وأسرع أحدهم إلى الأزرار الكهربائية وضغطها ، فدارت الآلات وارتفع عجيجها ، وراحت المبارد ترتفع وتنخفض على قطع الحديد المثبتة فى « المناجل » والمناشير تتحرك فى توافق كأنما هى فرقة موسيقية تعزف لحناً . ودخل المهندس بقامته الفارعة . وملابسه الحريرية النظيفة يتبختر كغادة مدلة معجبة ؛ وكان يتحاشى الاقتراب من الآلات أو العمال ، حتى لا تتلوث ملابسه . فما تقول خطيبته التى سيقابلها عقب انتهاء العمل إن رأت بقعة زيت تشين لباسه الذى تفنن فى إعداده ؟ . وأجال بصره فيما حوله ، فرأى حركة دائمة ، فقرت عينه واطمأن إلى أن العمل يسير على ما يروم . فانصرف إلى مكتبه ليمضى به بقية يومه بين شرب القهوة ، والمحادثات التليفونية ، ومقابلة الأصحاب والأحباب

« ترك المهندس الورشة ، فأسرع عامل إلى الأزرار الكهربائية وضغطها ، فخرست تلك الآلات التى صدعتهم بصوتها بعض الوقت ، واستأنف العمال سمرهم ، وراح بعضهم يبحثون عن مكان هادئ ، يستسلمون فيه للذيذ الرقاد »

وهكذا ترتسم تلك الصورة الحقيقية الهازلة لجو العمل فى المصالح الحكومية الذى يشترك فى خلقه الصغير من الموظفين والكبير ! !

***

عشرات من هذه الصور الخاطفة تأخذها العين اللماحة ، وتصورها الريشة السريعة . ولست أزعم أنها جميعاً فى هذا المستوى البارع الذى ضربت منه الأمثال . فالمؤلف يظل موفقاً ما ظل يستخدم موهبته الأصيلة : موهبة التصوير السريع باللمسات الخاطفة ؛ وما ظل يدع الحادثة توحى بالمعنى ، والحركة تدل على الانفعال . ولكنه يهبط ويجانبه التوفيق ، حين يستخدم الوصف المجرد للتحليل النفسى ؛ فليس هو موهوباً فى التحليل .

ولهذا تستحيل تلك الأداة فى يده أداة معطلة لا تصور ملامح ، ولا ترسم هيئات ، ولا تبلغ فى تشخيص النفسيات إلا أن تصفها وصفاً لا حياة فيه (ويضيق الفراغ هنا عن الاستشهاد)

ولحسن الحظ أنه لم يجنح إلى التحليل بالوصف إلا فى قليل من هذه الصور . أما أغلبها فجنح فيه إلى التشخيص بالحادثة والتعبير بالحركة على النحو الذى ضربنا منه الأمثال

***

نتلفت إلى ما بين أيدينا فى المكتبة العربية من مؤلفات ، لنقرن إليها هذا المؤلف الجديد ، فلا نجد إلا « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم

ولكنهما لا يلتقيان إلا فى المادة التى يتناولانها للتصوير : مادة الشخصيات الآدمية فى العمل الحكومى ، والجو الرسمى ، وإلا فى جانب من الروح التى يتناولان بها الموضوع : جانب الفكاهة الساخرة على وجه العموم

ثم يختلفان بعد ذلك فى طريقة التناول ، وفى نوع الإخراج ، وفى مستوى التفكير :

ففى « يوميات نائب » تبدو سمة العمل الفنى الموحد الكبير الذى تضطرب فى مجاله الشخصيات كلها وترتبط برباط واحد من الحبكة الفنية ومحور واحد من التنسيق . و « فى الوظيفة » تبدو اللمحات السريعة واللمسات الخاطفة ، وتتفرق الشخصيات فى الصور المتعددة فلا يربطها إلا عنصر التصوير

وفى « يوميات نائب » إشعاعات فكرية ، ولمحات فلسفية ، وومضات شاعرية لا يحاولها مؤلف « فى الوظيفة » لأنه موكل بالتصوير الخاطف لا بالتأمل العميق وباللمحة الحاضرة لا بالغايات البعيدة

ولكن كليهما جدير بأن يوجد فى كل مكتبة ، وأن يقرأه كل محب للاصلاح الاجتماعى أو للعمل الفنى على اختلاف فى المنهج والمستوى والطريق .

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦١٠ — هذا حسن ، هذا مستوفى

في « الإمتاع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي :

جرى ذكر حديث الذكور والإناث ، فقال الوزير : قد شرّف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عز وجل : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » فقلت : في هذا نظر ؛ فقال : ما هو ؟ قلت : قدّم الإناث — كما قلتَ — ولكن نكّر ، وأخر الذكور ولكن عرّف ، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم . قال : هذا حسن . قلت : ولم يترك هذا أيضاً حتى قال : « أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً » فجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذكران ، فقال : هذا مستوفى .

٦١١ — وإلا فغير ذلك الاسم واشرب

في « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » لياقوت :

قال أبو الفضل جابر بن زهير : كنت عند أبي محمد القاسم ابن الحريري البصري بالمشان أقرأ عليه المقامات ، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصري قد شرب مسكراً ، فكتب إليه :

أبا زيد اعلم أن من شرب الطلا — تدنس فافهم سر قولي المهذب
ومن قبل سميت (المطهر) والفتى — يصدق بالأفعال تسمية الأب
فلا تحسها كيما تكون مطهرا — وإلا فغيّر ذلك الإسم واشرب

فلما بلغته هذه الأبيات أقبل حافياً إلى الشيخ أبي محمد ، وبيده مصحف ، فأقسم به ألاّ يعود إلى شرب مسكر . فقال له الشيخ : ولا تحاضر من يشرب .

٦١٢ — فما تم إلا والغمام قد انفضا ...

قال الحسن بن علي التنوخي في معنى طريف لم يسبق إليه :

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه — وقد كاد هُدب الغيم أن يبلغ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما — فما تم إلا والغمام قد انفضا

٦١٣ — حاجة الأديب إلى كل علم

في « وفيات الأعيان » : حكى أبو محمد إسماعيل بن موهوب الجواليقي « الأديب اللغوي » وكان أنجب أولاده قال : كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرءون عليه ، فوقف عليه شاب وقال : يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما ، فقال : قل ، فأنشده :

وَصْلُ الحبيب جنانُ الخلد أسكنها — وهجره النار ، يصليني به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة — إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا

قال إسماعيل : فلما سمعهما والدي ، قال : يا بني ، هذا شيء من معرفة علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الأدب . فانصرف الشاب من غير حصول فائدة ، واستحيا والدي من أن يسأل عن شيء ليس عنده منه علم ، وقام وآلى على نفسه ألا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصّل معرفته ثم جلس .

ومعنى البيت المسئول عنه أن الشمس إذا كانت في آخر القوس كان الليل في آخر الطول لأنه يكون آخر فصل الخريف ؛ وإذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لأنه آخر فصل الربيع . فكأنه يقول : إذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول ، وإن زارني كان الليل عندي في غاية القصر .

٦١٤ — الأشراف والعقلاء تعوزهم الملح

في كتاب « التطفيل » للخطيب البغدادي أنشد محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان من أعقل من رُئي من القرشيين :

يا أيها السائلُ عن منزلي — نزلت في الخان على نفسي
يغدو على الخبز من خابز — لا يقبل الرهنَ ولا ينسي

آكل من كيسى ومن كسرتى حتى لقـــد أوجعنى ضرسى

فقال لمنشدها : أكتبنى هذه الأبيات ، فقال له : أصلحك الله ، إن هـذه لا تشبهك . فقال له : ويحك ! إن الأشراف والعقلاء تعجبهم الملَح .

٦١٥ — اسمع يا شيخ

قال ابن الباقرجى : بت ليلة متفكراً فى قلة حظى من الدنيا فرأيت مغنيا يغنى فالتفت إلى وقال لى اسمع يا شيخ .

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومُنزل القرآنِ
ما العيش فى المـــال الكثير وجمعه
بل فى الكفاف وصحـــة الأبدانِ

٦١٦ — ما قطعت شيئاً قط

فى « تاريخ بغداد » للخطيب : قال أحمد بن أبى طاهر : كنت يوماً عنـد على بن عبيدة الريحانى فورد عليه كتاب : « أم محمد ابنة المأمون » فكتب جواب الكتاب ، ثم أعطانى القرطاس فقال : اقطعه

فقلت : ومالك لا تقطعه أنت ؟ !

فقال : ما قطعت شيئاً قط .

٦١٧ — توجه إلى ثيابك . . .

قال رجل لبعض الفقهاء : إذا نزعت ثيابى ودخلت النهر . أغتسل ، أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها ؟

قال : توجّـهْ إلى ثيابك التى نزعتَها لئلا تُسرق . . .

٦١٨ — غرى بذا من ليس يفتقد

قال يحيى بن حكم الملقب بالغزالى :

قالت : أحبكّ : قلت : كاذبة غرّى بذا من ليس ينتقد
هـــذا كلام لست أقبـله الشيخ ليس يحبه أحـــد
سيانِ قولك ذا وقولك م ان الريح نقعـــدها فتنعقد
أو أن تقولى : النـار باردة أو أن تقولى : المـاء يتقد

٦١٩ — . . . وغيرهم

فى « إعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن قيم الجوزية : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية « قدس الله روحه ونور ضريحه » يقول : مررت أنا وبعض أصحابى فى زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معى ، فأنكرت عليه وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال فدعهم (١) . . . . . .

٦٢٠ — ولع النساء بخطوط العظماء

فى « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » سأل أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على حفصة بنت الحاج الركونى (٢) يوما أن تنشده ، فقالت ارتجالا :

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
أمنن على بطرس يكون للدهر عُدّه
تخط يمناك فيه : الحمـد لله وحده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية فان السلطان كان يكتب بيده فى رأس المنشور بخط غليظ « الحمد لله وحده » فمن عليها وكتب لها بيده ماطلبت

٦٢١ — كرويه وتكرويه

فى « شرح النهج » لابن أبى الحديد : كان سلمان من شيعة على « عليه السلام » وخاصته ، وتزعم الإمامية أنه أحد

---

(١) فى (إعلام الموقعين) : إنكار المنكر أربع درجات : الأولى أن يزول ويخلفه ضده ، الثانية أن يقل وإن لم يزل بجملته ، الثالثة أن يخلفه ما هو مثله ، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه ؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة . ثم وضح الامام هذه الدرجات . (الجزء ٣ ص ٢) .

(٢) قال ياقوت : شاعرة أديبة من أهل غرناطة ، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمـــال ، جيدة البديهة ، رقيقة الشعر ، أستاذة وقت تعليم النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلدي سيوفهم في خبر يطول وليس هنا موضع ذكره. وأصحابنا لايخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة وانما يخالفونهم في أمر أزيد من ذلك. وما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة: « كرديد ونكرديد » — محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئاً وماصنعتم: أي استخلفتم خليفة ونعم مافعلتم؛ إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت، فلو كان الخليفة منهم كان أولى. والامامية تقول: أسلمتم وما أسلمتم، واللفظة المذكورة في الفارسية لاتعطى هذا المعنى وانما تدل على الفعل والعمل لاغير [1]. ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن فلو كان ماتنسبه الامامية إليه حقا لم يعمل

(١) لحن ابن هشام في (المغنى) من يقول لاغير والصواب عنده ليس غير، وفي التاج بحث في هذا القول مفيد. وقد أورد صاحبه هذا البيت:

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا ... لعن عمل أسلفت لاغير تسأل

وجاءت (لاغير) في المخصص ج ٣ ص ١٥٠ وفي (إصلاح المنطق) ج ١ ص ١٨١ وفي (فصيح ثعلب) ٣١ و ٨١ وفي (رسالة الملائكة) ص ٧٠ وفي (الفائق) ج ١ ص ١٢٦ وفي (اللسان) ج ٤ ص ٣٤٦ فقل: ليس غير وقل لا غير.

٦٢٢ — وإن أبغضها أنصفها

قال رجل للحسن (البصرى) إن لى بنية فمن ترى أن أزوجها؟

قال: زوجها ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقال بعضهم، وهو يشبه قول الحسن — لا تزوج كريمتك إلا من عاقل، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها أنصفها.

٦٢٣ — ما خطر العدل على بالكم

يحيى السرقسطى:

نسيتم الظلم لعمالكم ... ونمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة ... ما خطر العدل على بالكم

هذا العالم المتغير!

للأستاذ فوزى الشتوى

يجتاز العالم الآن ثورة تنبىء بقلب نظم الصناعة والزراعة والطب وكل ماله صلة بالحياة الانسانية ، فان الحرب الحالية قفزت بالعلم خطوات واسعة فذللت كثيراً من العقبات التى طالما وقف أمامها الانسان حائراً

وعندما يعود السلام وتعلن أسرار الاكتشافات العلمية سيجد الناس أنفسهم فى عالم غير الذى عرفوه . وفى هذا الباب سنقدم إلى القارىء العربى بعض أنباء هذه المكتشفات الحديثة

قاتل المكروبات

أى حياة نعيشها إذا تخلصنا من المكروبات والحشرات التى تفتك بنا وبمتاعنا ؟ إنك إذا تركت كوبا من اللبن ساعات تراه تجبن وأصبح غير صالح للاستعمال . وإذا تركت اناء طعام مدة من الزمن تجد الفساد يدب فيه ، وعلة هذا الفساد تلك الأحياء الصغيرة التى نسميها مكروبات أو جراثيم تهاجمنا فى عملنا وفى نومنا فتصبغ حياتنا بلون خاص من التحفظ . فنحرص ألا نشرب من كوب شرب منه غيرنا ، ونغلى طعامنا لنقتل ما يحتوى من جراثيم نحرص ألا تتسرب اليه مع الهواء

اننا نظن أننا عرفنا كيف نتقى الجراثيم ، فينكر علينا الواقع حسن ظننا : فالحقيقة اننا تعودنا الاستسلام لفتك الأمراض المختلفة باجسامنا ، فإن أصبنا بالتيفود أو التيفوس أو الملاريا أو غيرها من الأمراض أدركنا أن اللص وجد منفذا إلى أجسامنا فهل من سبيل إلى الخلاص من هذا العدو الذى لا يهدأ ؟

كان هذا حلماً ، فاصبح الآن حقيقة . وأمدنا العلم باسلحة تقضى على المكروب الذى يسبح فى الهواء ، ويندس بين طيات ملابسنا ، ويلتصق بفراش نومنا . فقد وصل الى اكتشاف مركب كيميائى نغمر فيه ملابسنا وفراشنا وندهن به حوائط منازلنا وأرضياتها فيقتل كل مكروب يتصل بها . وتحتفظ هذه الأشياء بقدرتها على قتل المكروبات سنة أو أكثر مع الغسل المتواصل

فان أضيف هذا المركب إلى أدوات البناء وشبعت به سجف منازلنا وأثاثاتها ضمنا خلو منازلنا ومكاتب أعمالنا من الميكروبات ، ووفرنا أيضاً متاعنا فلا تستطيع الحشرات إتلافه

تمت أركان هذا الحلم فى أحد معسكرات الجيش الأميركى منذ أسابيع قليلة بعد تجارب طويلة استمرت سنوات . فكر أطباؤه أول الأمر فى إيجاد طبقة رقيقة تنشر على الأثاث والفراش والأرض ، فاذا مر بها ميكروب أمسكته إلى أن يموت . فلا يتطاير فى الهواء كلما نظفت الغرف أو أثارت غبار أرضها مكنسة أو قدم .

واختير لهذه التجربة معسكران يعيش فيهما ١٦ الف جندى قسموا إلى جزءين متساويين . فعاش ثمانية آلاف منهم فى معسكرات عولجت بمادة زيتية تقبض على الجراثيم ، وعاش الآخرون الحياة العادية . فكانت النتيجة أن قلت المكروبات المتطايرة ٩٧ فى المائة فى المعسكر الأول ، وقلت إصابات الجهاز التنفسي بمقدار الثلث عن زميلتها . ولم يرض الأطباء عن هذه النتيجة ؛ فان الجنود لا تعيش داخل معسكراتها الافترة قليلة من الزمن . فليس المطلوب هو اصطياد الميكروب بل قتله

وأقبلت هذه الحرب فأوجبت ميادينها فى الشرق الأقصى بين الغابات والمستنقعات حل هذا المعضل بكل سرعة . ولم يكن العلماء مجردين من كل الأسلحة بل كانوا يحتفظون بمركب من القار والنحاس ولكنه كان كريه الرائحة مهيجا للجلد يستحيل غمر الملابس به حتى لا تؤذى الجلد . فكان من الضرورى الحصول على مركب عديم اللون والرائحة لا يؤثر احتكاكه

بالجلد وتبقى خواصه فى الأنسجة سنوات برغم غسلها وتنظيفها

وعهد بالفكرة إلى فريقين : أولهما كيميائى باجيكى اسمه ليورامبل ويساعده ابنه جاى ؛ وثانيهما علماء معمل الكيمياء التابع لشركة جالهور . وقدمت التجارب الأولى إلى الفريقين لتهذيبها أو استنباط ماهو أفضل منها . فاستمرت التجارب عدة شهور توصلوا فى نهايتها إلى مركب أساسه الزئبق . وتقدر قابليته للفتك بالمكروبات بخمسة عشر ضعفا لحامض الفنيك ومع ذلك لايهيج الجلد ولا يتلف الملابس

واختبر المركب الجديد فجاز اختبارا دقيقا أثبت به أنه خير قاتل للميكروبات . فهو لايستطيع أن يقتل فأراً صغيراً ، فان غمست فيه قطعة قماش ونشفتها ثم وضعتها فى إناء به ميكروبات التيفوس مثلا ثم سحبتها منه وحفظت الإناء فى مكان مظلم وعدت اليه بعد أيام لتختبره تجد أن الميكروبات لم تتكاثر ، وأن البقعة التى هبطت فيها قطعة القماش ظلت منطقة حرام خالية من الميكروبات . ولولا هذا المركب لتكاثرت ميكروبات التيفوس وغيرت لون سائل الإناء

وغمرت قطع النسيج فى المركب القاتل للميكروبات ثم غسلت مرات وعرضت للهواء ولأشعة الشمس فوجد أن المنسوجات الصوفية احتفظت بقتلها لكل ميكروب يقترب منها بعد عشرين غسلة . وغمرت فرشة أسنان فى المركب فاحتفظت بخواصه بعد ٧٠٠ غسلة .

وأراد الكيميائى رامبل أن يجرب تأثير مركبه على الجروح ، ولكن المستشفيات رفضت أن تجعل من مرضاها حقل تجارب ؛ فلم يجد مفرا من جعل نفسه هذا الحقل . فاحدث فى كل من ذراعيه جرحا . وربط إحداهما بمنديله المشبع بمركبه . وعالج الثانية بالقماش المعقم والقطن بالطرق الطبية ، فشفيت الأولى بسرعة ، وظلت الأخرى مدة طويلة التهبت فيها مرات لأن المكروبات هاجمتها .

وليعرف رامبل تأثير مركبه على المنسوجات غمر نصف قميصه الأيمن فى المركب الزئبقى . وبعد مدة طويلة من الاستعمال المتواصل خفت أنسجة الجزء الأيسر الذى لم يغمر فى المركب وتمزق ، بينما احتفظ الجزء الأيمن بشكله ومتانته . فان المكروبات والبكتريا التى تحب العرق الانسانى كانت تهاجم الجزء الأيسر وترعاه ، ولكنها لا تقرب من الأيمن فلم تستطع التأثير فى أنسجته

فان عولجت كل الحاجات التى يتناولها الانسان أو يستعملها بهذا المركب فأنه يأمن شر المكروب والبكتريا . فلا يكون وسيلة لنقل الأمراض فى مناديله وملابسه وأحذيته أو فى فراشه ، بل يوفر على نفسه كثيراً من النفقات بحماية تلك الحاجيات من البكتريا فلا يتعفن طعامه ان هو أهمله يوماً أو بعض يوم . فمن تجارب رامبل أنه عمد إلى برتقالتين غطى إحداها بمركبه الزئبقى ، وترك الأخرى للطبيعة ، وتركهما ستة أسابيع فوجد الأولى كما تركها ولكن مقوسة لتبخر مائها ، أما الثانية فوجدها خراباتفوح منها رائحة العفن .

فوزى الشتوى

حولى عينيك . . .

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

حَوِّلى عَيْنَيْكِ، إنى لا أُطيقْ   ما تَصُبَّانِ بنفسى من حريقْ
حَوِّلى عنى سُطُوعاً فيهما
قد أرانى الجُرْحَ فى غَوْرى السحيقْ
حَوِّلى عنى سماءً فيهما   طَيْرُها قلبى، ونجواها خُفوقْ!
حَوِّلى عنى لهيباً فيهما   لَفْحُهُ يُوغِلُ فى مَسْرَى العروقْ

إنما تَرسُبُ عيناكِ إلى   قاعِ روحى... كالرَّدَى المُعْقِدِ
إنما تحترقُ النفس بما   فيهما من لهبٍ مُتَّقِدِ!!
إنما تثقُبُ ما أنسجُهُ   مِنْ غِشاءِ الكِبْرِ فى مُنْفَرَدِى
إنما تجذِبنى... مُنْطَرِحاً   تحتَ أقدامِكِ، مَغْلُولَ اليدِ!!

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاتِلتى   أنا لا أقوى على ما فيهما
لَيْتَ لى القوَّةَ، أستنزِفُها   فى مُعاناةِ المنايا منهما!!
لَيْتَ لى القوَّةَ، لكنْ ما نجا   فى احتمالِى رَمَقٌ أو سَلِمَا
ما نجا لى رَمَقٌ يُسْعِدُنِى   أنْ أُضَحِّيهِ ذبيحاً لهما

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاهرتى   واسمعى القصةَ تَنْدَى بالدِّماءْ
قد نبشْتُ القبرَ، فاصْحُ الآنَ يا   ماضِىَ الحبِّ، قتيلَ البُرَحاءْ!
واغْتَفِرْ لى أننى قد هتكتُ   قبضتى الحُرْمَةَ فى وادى الفناء
أيُّها الماضى... أفِقْ واخْطُرْ كما   شئتَ بالأكفانِ فى هذا الفضاء

أيُّها الماضى... أفِقْ واقْذِفْ بما   فيكَ من هَوْلٍ إلى مَرْأَى العيونْ
كلُّ يومٍ فيكَ كأسٌ مِلْؤُها   دَمُ قلبٍ، وَنُفاثاتُ طَعينْ!!
وثَوانيكَ شُجُونٌ رَزَحَتْ   تحتَها مُهْجَةُ غِرِّيدٍ أمينْ
سَقَرٌ أنتَ وقد كابَدْتُها   فى نعيمِ الحبِّ فَيّاضَ الشئونْ

أيُّها الماضى أفِقْ واجْهَشْ بما   فيكَ من رَعْدِ البلايا والعذابْ
كى تُرِيها ما بأيامِكَ من   حُرُقاتٍ ودُمُوعٍ وسَرابْ...
جُثَّةً أنتَ... وقد مزَّقها
سَوْطُ حِرْمانِ شبابٍ من شبابْ
إسْلَخِ الأيامَ من طلعتها   تتساقطْ حولها فوق التراب!

أنتَ يا ماضِىَّ... أطْلِقْ نحوها   كلَّ أوقاتِكَ من قَيْدِ الزمن
تتنزَّى فى خُطًى تلقفُها   عثراتٌ وشكوكٌ ومِحَنْ...
وانْشُرِ الآنَ ليالِىَّ التى   تنزِفُ السعدَ وتستبقى الشَّجَنْ
لترى ظالمتى السهدَ الذى   طالما سايرنى فوق الدِّمَنْ!!

ابعثِ الآنَ دفينَ الذِّكَرِ   لتُريها كيف ولَّى عُمُرى
فى هلاكِ اليأس قد طاردنى   خوفُ قلبٍ باللظى مُدَّثِرِ
خوف حرمان تَرَدَّيْتُ به   وارتوى من نابعات الفِكَرِ
وتلوِّى فى ضلوعى نَهِماً   يغتذِى بى فى شقاءِ السهرِ

كم حنينٍ قصَّ وُجدانى وما   كفَّ حتى صبغتْ ليلِى الدماء
وعذابٍ طحنَ النفسَ فلم   يُبْقِ منها ما يُذَرِّيه الهواء
وبكاءٍ كنت أستَجدى به   فى خيالى رحمةً لى أو عزاء
وأحرُّ الدمعِ ما تبذُله   عينُ مظلومٍ شديدِ الكبرياء

هذه الغيلانُ عَبَّتْ من دمى   فانتشت تقصِفُ فى هَوْلِ الظلامْ
نَهَشَتْ لحمى فدوَّت من فمى   صرخاتُ الذُّعْرِ والناسُ نيامْ
وأنا وحدى دكَّتْ أعظُمى   رهبةُ المُشْفِى على مهوى الحِمامْ
هذه الغيلانُ غيلانُ الأسى   أكلتْ راحةَ قلبى المستهامْ

هذه الغيلانُ لم تُبْقِ سوى   هيكلٍ من جسدى مرتعدِ
وعظامٍ زلزلتها فى الدُّجى   سَطْوَةُ الحُمَّى التى لم تُعْهَدِ
طلَلٌ أسعى وزادى لم يعد   غيرَ أشواقٍ أضاءت معبدى
طلَلٌ أسعى وفى أركانه   روحُ آمالى التى لم تُلْحَدِ

طلَلٌ مُنْتَفِضٌ يمشى وقد   قصمتْ أضلاعَهُ فأسُ القضاء
خَرِبُ الأنحاءِ يستوطنه   من معدات المنايا ألفُ داء
شاحبُ الجلدِ كأنى ميِّتٌ   طرد اللحدُ رُفاتى فى الخلاء
إن تجده العينُ لا تُنكره   إنما تمطرُه سَيْلَ بكاء!!

يفتدِ الأحياء فى قبضته ... رحمةً ، لو يستدرّ الرُّحماء
إنما يعنيه قلبٌ واحدٌ ... هو فى صدرك يا نيل الرجاء
انظرى كيف استحالت نضرتى ... صُفرة يُنكرها حتى الفناء
غائر العينين ، مَعْرُوقيهما ... أطفأتْ سحرهما ريح الشقاء

أيها الماضى ألا تعرفنى ؟ ... شدّ ما ألقاك قد أنكرتنى!
أنتَ منى قطعةٌ كفّنتها ... بسنينى وطواها زمنى !
أنتَ بنيانٌ أقمنا فوقه ... حاضراً... يا ليته لم يكنِ !
حاضراً يمتصّ أعصابى ولا ... ينثنى بالويل يستنزفنى

أنتَ سيلٌ عارمٌ منحدرٌ ... من حياتى فى مصبّ الأزلِ
هل لأمواهك أن ترتدّ فى ... نهرِ عمرى، مرجعات أوّلى؟
ثمّ هل للريح أن تقتادنى ... فى اتجاهٍ غيرِ ما قُدِّر لى ؟
كى أوقّيك الذى حمّلته ... من ركام النوبِ المتّصلِ !

أين تمضى أيها الماضى وفى ... أى كهف تختفى بالعُمُرِ ؟
بعدَ موتى هل ستلقانى وهلْ ... سوف ألقاك كميلِ الصُّوَرِ؟
أمْ ستنسانى وأنساك وما ... عُدْتَ تحيا نابضاً فى ذكرى
شدّ ما أرهبُ لقياك إذا ... حانَ حَيْنى وانتهى بى سفرى

أنتَ رجعٌ للأغاريدِ التى ... كنتُ أستودعها قلبَ الزمانْ
عُدْ إلى ساحرتى واقطر بما ... فيك من شجوٍ لديها وهوانْ
واختفِرْ لى مسلكاً فى قلبها ... يحتوينى مرةً منه الحنانْ
أيها الماضى وطهرْ كعبةً ... حولها تُعْبَدُ فيها وتُصانْ

كم نهارٍ فيك أستوقفه ... فى هوىً الزمنِ المنصرمِ
قبل أن يلتحف الليلَ على ... مهدِ ذاك الأفقِ المضطرمِ
كنتُ أستوقفه مسترحماً ... أن يعيدَ الكرّ حولَ الأنجمِ
علّ فى أوقاته لى موعداً ... تائهاً يشرى بروحى ودمى

كم غروبٍ كنتُ أستمهله ... فى اجتياحِ الهادرِ المنصرفِ
فزعاً أجأر فى تياره ... بضميرٍ راعدٍ مرتجفِ :
أيها التيارُ لا تطرحْ لقىً ... خلفَ أنوارك نهبَ السُّدُفِ
إننى أخشى الدجى ، يا سُمّه ... لفؤادِ الصبّ من مقترفِ !

كم مساءٍ كنتُ أشتاق به ... زفرتى كالخنجرِ المنغرسِ
صُغْتُ أنفاسى به أنشودةً ... للهوى رفّافةً كالقبسِ
كم تماثيلَ بأحضانك قدْ ... شدتُها بالأملِ المندرسِ
شدتها للحبّ تستعبدنى ... وهى من صُنْعى سوادَ الغلسِ

كم ظلامٍ فيك قد مزّقته ... عن صباحٍ مكفهرّ الجبهةِ
باعثاً طيرَ فؤادى نحوها ... ضارعاً بالشوق يفرى مهجتى
آملاً تمنحه رحمتها ... فيُغنّى فرحاً فى أيكتى !
وإذا الأيقاظُ ركبٌ هائلٌ ... وَصِفٌ يسخرُ من أمنيّتى

كم نسيمٍ فيك قد حرّرته ... من نطاقِ الخيزِ المختلجِ
شرّبته أذنى واستعرضتْ ... ما به من همساتِ المُهَجِ
علّها تظفرُ فى طيّاته ... بصدىً من صوتها المنبلجِ
بصدىً يبرقُ فى روحى كما ... تبرقُ الأنوارُ فوق الثبجِ

كم ربيعٍ فيك قد روّيتُ من ... روضِهِ بالدمع زهرَ الأملِ
وخريفٍ عاطفىٍّ غالَ ما ... أنبت الساقى بماءِ المقلِ
كم ربيعٍ فيك قد داهمنى ... بشتاءٍ فى ضميرى موغلِ
بَرْدُهُ يصطكّ منه قفصى ... وردَاه زاحفٌ فى أجلى

هكذا ولّتْ حياتى فانظرى ... أىّ موتٍ جرّعتنيه الحياه
أنقذى قلبى ففى دقّاته ... هتفاتٌ لك يا كلّ مُناه !
هتفاتٌ شقّتِ الصدرَ لها ... من سنانِ الصدقِ حدٌّ لا أراه
فاسمعيها وارحمى مُرْسِلَها ... فهو يهواكِ ولو كنتِ رداه !

(القاهرة) عبد الرحمن الخميسي

البريد الأدبي

إلى معالي الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك

يا وزير الحقِّ والعـدل ويا ... منهلا يَغْرِف منه كل غارفْ

لك في العـلم مكانٌ سابقٌ ... وتليدٌ في القوانين وطارفْ

كنت كالصخرة لا تَعْيَا على ... صَخَبات الموج والتَّيارُ جارفْ

العصامية فيـك انكشفت ... عن ضليع وقدير في المواقف

هـذه « دجلةٌ » قد روَّيْتَها ... فَهْي ظِلٌّ مِنْ جَنَى علمك وارفْ

فاجعل العـــلم بمصرٍ قِبْلَةً ... يلتقي في كعبتَيها كلُّ طائفْ

قد شَدَدْتَ العدل في دارته ... فأقِمْهُ اليومَ في دار المعارفْ

م . ع . ح

نشيد العرب

[اختار إمام العربية الأستاذ إسعاف النشاشيبي هـذه الأبيات من قصيدة للشريف الرضي ، ثم نشرها بهذا العنوان في كتابه (البيان) واقترح بعض الأدباء في مجلسه أن يلحنها أحد الملحنين لتكون النشيد العام لـ (جامعة الدول العربية) وكان الأستاذ سامي الشوا حاضراً فأخذ على نفسه أن يلحنها وتلك هي الأبيات] :

أما كنتَ مَعَ الحيِّ ... صَبَاحاً حينَ وَلَّيْنا(1)

وقد صاحَ بنا المجدُ ... إلى أينَ إلى أينا ؟

لنا كلُّ غلامٍ همُّـــهُ ... أن يَرِدَ الحَيْنا(2)

لنا السَّبْقُ بأقدامٍ ... إلى المجدِ تساعَينا(3)

تَرَى زَمْجَـرَةَ الآسا ... دِ هَمْساً بين غابَيْنا(4)

مَلَـكْنا مَقْطعَ الرِّزقِ ... فأفقَرْنا وأغنَيْنا(1)

وحُزْنا طاعةَ الدهرِ ... فأغضَبْنا وأرْضَيْنا

إذا ما ثوَّبَ الدَّاعي ... إلى الموتِ تَدَاعَيْنا(2)

(1) (ولينا) ذهبنا والذهاب هنا إلى الحرب

(2) (همه) مطلبه ، مراده (الحين) الهلاك

(3) (تساعين) تسابقن

(4) (الزمجرة) ترديد الزئير (الغاب) جمع الغابة : (بين غابينا) بين الجيشين : جيشنا وجيش العدو

(1) (مقطع الرزق) مأخذ الرزق مخرجه

(2) (ثوب) دعا ، وأصله أن الرجل إذا جاء مستصرخاً لوح بثوبه ليرى ويشتهر (تداعينا) دعا بعضنا بعضاً حتى نجتمع وننصره

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية كثيرة في مقالي الثاني عن مليم الأكبر بالعدد الماضي من (الرسالة) . وكثيراً ما وقع مثلها في مقالاتي فلم أنبه إليه اعتماداً على ذكاء القارئ ، وتوفيراً للوقت والورق !

ولـكن يعنيني اليوم تصحيح خطأ يقلب قضية كاملة ، فقد سقطت كلة « لا » من جملة ، فأحالت المعنى إلى نقيضه في موضع شديد الحساسية !

قلت عن مؤلف « مليم » بعد اقتباس فقرات من كتابه :

« فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير إلى أسلوب « القرآن » وتحكمه في نمو الأدب العربي ، وغضبوا لهذا الفهم جداً ... »

ثم قلت :

« وأنا لا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، ولا أن أحكم الحس الديني في مسألة أدبية »

وهذا هو الصحيح بنفي الجملة ، وهذا ما اتبعته في كتابي « التصوير الفني في القرآن » الذي أشرت إلى منهاج البحث فيه على هـذا الأساس في نفس المقال . فقد أردت أن تكون نظرتي للقرآن نظرة فنية بحتة مجردة عن كل تأثر ديني في دراستي لطريقته التصويرية المبدعة .

سيد قطب

تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية

أصدرت لجنة التأليف هـذا الـكتاب بقلم معالي مصطفى عبد الرازق باشا ، وهو يقع في ٣٥٩ صفحة من الحجم الكبير ،

والكتاب قسمان وضميمة : القسم الأول مقالات الغربيين والإسلاميين فى الفلسفة الإسلامية وتحته فصول : الأول فى مقالات المؤلفين الغربيين ، والثانى فى مقالات المؤلفين الإسلاميين ، والثالث فى تعريف الفلسفة وتقسيمها عند الإسلاميين ، والرابع فى الصلة بين الدين والفلسفة عند الإسلاميين . وعنوان القسم الثانى « منهجنا فى درس تاريخ الفلسفة الإسلامية » ، وتحته ثلاثة فصول : الأول فى بداية التفكير الفلسفى الإسلامى ، والثانى فى النظريات المختلفة فى الفقه الإسلامى وتاريخه ، والثالث فى الرأى وأطواره . وخاتمة الكتاب ضميمة فى علم الكلام وتاريخه

هذا الكتاب هو أهم وأعظم المؤلفات خطراً من الناحية الثقافية فى العصر الحاضر ، ولا ترجع أهمية الكتاب إلى أن صاحبه وزير من وزراء الدولة ، بل لأن المؤلف كان أستاذ الفلسفة الإسلاميه بالجامعة ، وأنه صاحب مدرسة لها شأنها فى مصر والشرق . وليست هذه المدرسة داراً ذات جدران يختلف إليها المدرسون والطلاب فى أوقات معلومة ، بل هى مدرسة روحية تعتمد على الطريقة والمذهب ، والأسلوب والفكرة . وهى مدرسة قديمة زعيمها جمال الدين ، ثم تلميذه محمد عبده ، ثم تلميذه مصطفى عبد الرازق .

منهج المدرسة الحرية فى البحث ، والتثبت والتحقيق ، والاعتماد على الثقافة الإسلامية الصحيحة ، ومذهبها النهضة والاصلاح فى العلم والدين .

والحرية أهم ما يميز منهج هذه المدرسة . ومن آيات ذلك أن زعماءها لم يجدوا حرجاً فى الاطلاع على آثار الغربيين والمستشرقين ، والأخذ بما فى آرائهم من صواب ، ونبذ ما جاء على لسانهم من أخطاء . ولا شك أننا استفدنا من طرائق الغرب فى البحث ، كما أننا نأخذ عنهم إلى جانب العلوم الحديثة كالطبيعة والكيمياء وعلم الحياة ، التاريخ الاسلامى وعلوم الدين . ذلك أن المؤلفات الاسلامية فى التاريخ والدين التى كتبت فى عصور قديمة لا تلائم روح العصر الجديد ولا يتذوقها المحدثون الذين درجوا فى دراساتهم على مناهج الغربيين الحديثة . ومن الخطر الشديد أن نستقى تاريخنا وديننا عن الغرب ، ولا حيلة للشباب إلا الرجوع إلى هذه المؤلفات الأجنبية ، لأن طبيعة نشأتهم فى الدراسة تدفعهم إلى ذلك . وقد كان مصطفى باشا رفيقاً فى خطاب هؤلاء المستشرقين فقال : « أما بعد ، فان الناظر فيما بذل الغربيون من جهود فى دراسة الفلسفة الاسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الاعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم . وإذا كنا قد ألمنا إلى نزوات فى الضعف الانسانى تشوب أحياناً جهودهم فى خدمة العلم ، فانا نرجو أن يكون فى تيقظ عواطف الخير فى البشر ، وانسياقها إلى دعوة السلم العام ، والنزاهة الخالصة والانصاف والتسامح ، مدعاة للتعاون بين الناس جميعاً على خدمة العلم باعتباره نوراً لا ينبغى أن يخالط صفاءه كدر » (١)

فأنت ترى أن المؤلف اطلع على مقالات المستشرقين ، ثم ناقشها ، ثم عاد إلى الأصول التى استقى منها الشرقيون نتائج أبحاثهم وهى الكتب والمخطوطات الاسلامية ، ودرسها بنفسه وذوقه واستعداده وروحه أو روح المدرسة التى وصلت زعامتها إليه ، ينشد الحق والخير ، ويبغى النهضة والاصلاح .

وفى الكتاب ظواهر كثيرة جديرة بالتسجيل والالتفات

أولاها أن المنهج الذى جرى عليه المؤلف منهج حديث سليم ، يتذوقه أولئك الذين درسوا على مناهج الغربيين

والظاهرة الثانية هى الدقة فى تحرى الحقائق فى مظانها ، ورد الأقاويل إلى مصادرها ، مع الاحاطة بأغلب المصادر من مطبوع ومخطوط .

والثالثة الوضوح التام ، والتمييز بين المعانى المختلفة والآراء المتباينة ، وإيراد الحجج لأنصار الرأى ومخالفيه ، والخروج بعد ذلك بالنتيجة الصحيحة .

وعنوان الكتاب « تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية » ،

(١) ص ٢٧

يشير إلى الغرض الذي يرمي إليه صاحب الكتاب ، وهو دعوة المفكرين والطلاب إلى السير في هذا الطريق ، واستيفاء البحوث التي أثارها وفتح أبوابها فكانت موضع النظر والتفكير الطويل وأبرز الآراء وأكثرها خطراً القول بأن الفلسفة الاسلامية الصحيحة ينبغي التماسها في الفقه الاسلامي

هذه القضية تناقض تمام التناقض ما يقول به المستشرقون بأن المسلمين عارون عن الفلسفة ، وأن الفلسفة التي دخلت إلى ثقافتهم يونانية .

ومنهم من يعتبر أن علم الكلام هو أصل الفلسفة الاسلامية وأن علم الكلام عند المسلمين مستمد من الفلسفة اليونانية متأثر بها .

ومنهم من يرد بعض الفلسفة الاسلامية إلى الفرس والهند

أما أن الفقه هو أصل الفلسفة الاسلامية ، فنظرية جديدة لا شك أنها ستفتح باباً جديداً للبحث والجدل والمناقشة .

ويرى مصطفى باشا بعد الاستشهاد بأقاويل المؤرخين الاسلاميين أن الشافعي هو « أول من وضع مصنفاً في العلوم الدينية على منهج علمي » ؛ ومصنف الشافعي هو « الرسالة »

ونحب أن ننقل إليك بعض ما كتبه مصطفى باشا عن « مظاهر التفكير الفلسفي في الرسالة » بعد أن حللها تحليلاً وافياً :

« ورسالة الشافعي كما رأينا تسلك في سرد مباحثها وترتيب أبوابها نسقاً مقرراً في ذهن مؤلفها ، قد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه ، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ، ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمي المنظم في فن يجمع الشافعي لأول مرة عناصره الأولى .

وإذا كنا نلمح في الرسالة نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام من ناحية العناية بضبط الفروع والجزئيات بقواعد كلية ... فانا نلمح للتفكير الفلسفي في الرسالة مظاهر أخرى .

منها هذا الاتجاه المنطقي إلى وضع الحدود والتعاريف أولاً ، ثم الأخذ في التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم .

ومنها أسلوبه في الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولاً .

ومنها الايماء إلى مباحث من علم الأصول تكاد تهجم على الألهيات ، أو علم الكلام ، كالبحث في العلم ... »(٢)

هذه هي جملة ما ذكره المؤلف خاصاً بمظاهر التفكير الفلسفي عند الشافعي صاحب الرسالة . ولم يستطع أن يجزم بأنها فلسفة بمعنى الكلمة ؛ فاستعمل ألفاظ الترجيح كقوله « نلمح للتفكير الفلسفي مظاهر أخرى » ، وكقوله : « حتى لتكاد تحسبه » .

ومهما يكن من شيء ، فهذا الكتاب يفتح آفاقاً جديدة ، وبحثاً لا يزال بكراً ، سيدفع المفكرين إلى الاتجاه إلى الثقافة الاسلامية اتجاهاً جديداً ، يلتمسون فيه الخصوبة الأصيلة للاسلام ، والقوة العقلية التي سادت في مدنيتها قروناً طويلة من الزمان .

دكتور
أحمد فؤاد الاهواني

(١) ص ٢٤٤ و ٢٤٥